الأب بول ديفارج، أسقف الجزائر

رسـالة راعـوية

تطويب إخواننا وأخواتنا نعمةٌ لكنيستنا

نوفمبر 2018

تُقدّم الكنيسةُ الجامعة لكنيستِنا ولعالمنا تسعةَ عشر أخًا وأختًا كمثالٍ لحياتنا كرسل اليوم وغدًا. وكطوباويين، فإنهم يسبقوننا في طريق الشهادةِ المطلوبة من كنيستِنا في أرض الجزائر التي ارتوَتْ منذ القرن الأوّل بدماء الشهداء. يمكننا الآن أن نطلبَ شفاعتَهم. فإنهم، كشهداء، يتابعون رسالتَهم لأنهم يشتركون أكثر من أي وقتٍ مضى في عمل الرب الذي يقوم به الروحُ القدس دونَ انقطاعٍ في القلوب. يمكننا أن نرى في تطويبهم تأكيدًا لدعوة كنيستنا بأن تكون، كما طَلَبَ منّا الأب الأقدس (في زيارة الأعتاب الرسولية في شهر آذار عام 2015)، "سرَّ محبة المسيح" لكافة الشعب حيث زَرَعها الرب. عددُهم تسعة عشر، وأسماؤهم هي:هنري وبول هيلين، وإستير وكاريدادا، وجان، وألان، وشارل وكريستيان، وأنجيل–ماري وبيبيان، وأوديت، وكرسيتيان، ولوقا، وكريستوف، وميشيل، وبرونو، ووسليستان وبول، وبيير. لم تُسلَبْ حياتُهم منهم، كما قالت الأخت بول–هيلين قبل موتِها بوقت قصير:

"يا أبت، قد وهبناك حياتنا" . وهبوا حياتهم لله وللشعب الذي جَمَعَتْهم المحبة بهم. يمكننا أن نصلي إليهم ونطلبَ منهم نعمة الأمانة لكنيستنا في إتمامِ رسالتِها.

سفكوا دمَهم، وختَموا بذلك عهدَ أخوّةٍ مع شعبنا. سُلبتْ حياتُهم في نفس الوقت الذي سُلبتْ فيه حياة الألوف من إخوانهم وأخواتهم الجزائريين الذين وهبوا حياتهم مختارين الأمانة لإيمانهم بالله ولضميرهم، ومحبة بلدهم. وكان من بينهم 114 إمامًا قُتلوا لأنهم رفضوا تبريرَ العُنف. كما لا ننسى إخواننا الكرواتيين الاثني عشر الذين ذُبحوا لأنهم مسيحيون. توقّفت المجموعة التي أتتْ لتأخذَهم في غرفة أخرى، وهنا قال الأول: "أنا مسلم من البوسنة"، فطلبوا منه أن يُثبتَ ذلك وأن ينطقَ بالشهادة. قام بذلك ثم أشار إلى رفاقه وقال: "كلّنا مسلمون هنا". وهكذا نجوا من الموت. كتب رهبانُ تبحرين في مقال: (إن سكتنا ستتكلم الحجارة)، بتاريخ 22 كانون الثاني عام 1994: *"كان الثلاثة الآخرون مسيحيين، واستطاعوا بفضل رفيقهم المسلم أن يعودوا إلى بلدهم سالمين. تقول السورة القرآنية: "ومن خلّص نفسًا كمن خلّص جميع الناس" (القرآن 5، 23). لم نستطع الصمت عن هذا الأمر"* .

يُمكننا أن نضيف إلى مجموعة الشهود هذه اسمَ الكاردينال دوفال. فقد كان أثناء هذه السنوات السوداء، وعلى مثال مريم العذراء، مُسمّرًا على الصليب يصلّي ويدعَم ويشجّع ويقدّم كلّ ذلك لله. وقد ساعدت مريمُ العذراء، الممتلئة من الروح القدس، ابنَها على أن يصمدَ حتى النهاية في مشاعرِ المحبة والمغفرة. فقد ساعد الكاردينال دوفال، ومعه المطران تيسيير، إخواننا وأخواتنا على الثبات في الأمانة، لأنّ هذه كانت وتبقى رسالةَ الكنيسة، أي أن تشهد لمحبّةٍ تصل إلى بذل الحياة في سبيل من تُحب.

مدعوون إلى القداسة ككنيسة

يرسل الطوباويون التسعة عشر إلى كنيستنا دعوةً جماعية، كما يرسلون علامة إلى كنيستنا. يقول لنا البابا فرنسيس بخصوص إخواننا رهبان تبحرين أنهم "استعدّوا معًا للشهادة" (G&E 141). يحتفظُ كلُّ واحد من شهدائنا التسعة عشر بشخصيّتِهِ المميّزة، ويمكن أن ننجذبَ إلى صورة أحدِهم. لكن الكنيسة تقدّمهم لنا معًا كشاهدين لمحبةٍ أعظم، نمتْ من خلال المحبة اليومية البسيطة. إنّهم يشكّلون معًا نعمةً كنسيّة من خلال موافقتِهم على البقاء بقرب أصدقائهم في ألمهم، وفي زمن المحنة الذي كان وما زال جوابَ كنيستِنا اليوم. فالكنيسة ليست كنيسةً إن لم تكن كنيسةً في شعبها بأكمله ومعه. وهي قريبةٌ من الجميع دون تمييز، على مثال شهدائنا. فهم تسعةَ عشر وينتمون إلى عائلات رهبانية مختلفة. ما هو العنصر الذي يجمع بينهم جميعًا؟ أنّهم بذلوا حياتهم في محبة الشعب الجزائري وخدمتِه. فقد كانت حياتُهم مرتبطةً بنوعٍ من العهد بحياة الذين كانوا يشاركونَهم حياتَهم. هذه هي دعوةُ كنيستنا منذ زمن القديس أغسطينوس، وهي دعوةٌ أكدّها بقوّة الكاردينال دوفال غداة استقلال البلاد. وإن أردنا أن نصبحَ قديسين، فمن خلال عيش هذه الدعوة بصِدق، وهي دعوة كنيستنا منذ البدء. كان يمكن لكلّ واحد من شهدائنا التسعة عشر أن يطبّقَ على نفسه كلمات الأب كريستيان دي شيرجيه في وصيته: *"أرغب في أن تتذكّر جماعتي الرهبانية وكنيستي وعائلتي أني وهبت حياتي لله ولهذا البلد"*. كانت حياة شهدائنا بمثابة أمانةٍ يومية لهذه الهبة، وهي تتطلّب أمانتَنا نحن اليوم.

يقول لنا شهداؤنا في الجزائر أننا نسير معًا على درب القداسة. فتطويب إخواننا وأخواتنا نعمةٌ جماعية تدعونا جميعًا – ومعًا – إلى القداسة. فهم يأخذون بيدِ كل واحد منا ويسيرون به في الكنيسة على طريق حياةٍ تبذلُ ذاتها في العمل اليومي.

يسيرون في طريق القداسة العادية. كثيرون منا عرفوهم. كانوا بسطاء وأخويّين، وكان لهم، كما لنا، نقائص منها عدم الصبر والغضب والإهمال وتقلّب المزاج وغير ذلك... كلّمتنا الأخت أوديت عن صلاتها: "أطلب من المسيح في هذا الوقت النعمة بأن أتعرّف عليه كل يوم في كلّ مناسبة تواجهني كي أتخلى عن ذاتي، وأن أُسكِتَ طبيعتي وأقبلَ أن أُهدَم. أأكد لكم أنه يمنحني هذه النعمة كل يوم، وأني أجد صعوبةً في أن أتعرّف عليه وأترك له حرية العمل. أفكّر في هذا الوقت بالخصوص في الحياة الجماعية. عليّ أن أقوم بالكثير من الجهد في هذا المجال، وليس فقط في تحمّل الآخرين، بل في مساعدتهم على المحبة وعدم الحكم على غيرهم، وأن لا أكون موضع تذمّرٍ أو ألمٍ للآخرين. الأمر صعبٌ، وعليّ القيام بكل ذلك" (رسالة في 25 نيسان عام 1954).

أين كانت القداسة إذًا؟ كتب الأخ ميشيل في رسالة ما: "لست بطلاً، أنا لا شيء" (رسالة شهر آب عام 1954). وهبوا حياتهم لله وللإخوة في حياتهم اليومية. هذا هو سرّ نعمة المعمودية. فهي تجعل منا ابناءً وإخوة. وهبوا حياتهم وانتهى الأمر. وهبنا الله الحياةَ كي نعيشها ونبذلها في حياتنا اليومية. يستشهد الأب الأقدس في رسالته بالرسالة إلى العبرانيين التي تذكّرنا أننا " محُاطون بسحابة عظيمة من الشهود" (3) ويضيف: "وبين هؤلاء الشهود يمكن أن نجد أمّنا أو جدّتنا أو أشخاصًا قريبين منا. من

الممكن أن لم تكن حياتهم دومًا كاملة، لكّنهم، بالرغم من نقائصِهم وهفواتِهم، تابعوا مسيرتَهم وحصلوا على رضى الرب" (3).

كان الطوباوي شارل دي فوكو يرغب في أن " يعيش بشكل يستطيع أيُّ شخص آخر أن يعتبرَه أخًا له". لهذا السبب، ليست القداسة كمًّا من الفضائل أو أمرًا أخلاقيًّا. القداسة حياة أساسُها بذل الذات، بقوة الروح القدس. ليست القداسة نقطةَ وصول بل السير في هذه الطريق والعيش يومًا بعد يوم نعمة سرّ المعمودية، وبالنسبة للرهبان والراهبات، نعمة تكريسِهم.

هل نرغب في أن نصبح قديسين؟ نقول عندما نصلي الصلاة الربانية: "ليأت ملكوتك... لتكن مشيئتك... هل نرغب في ذلك في حياتنا ومن خلال حياتنا؟ دعوتنا جميعًا هي القداسة. وهي دعوة كل إنسان. لا تتحقق الحياة إلا إن بُذِلت. وكلّ واحد منا مدعوّ إلى أن يبذل حياتَه. يختلف شكل هذه الهبة حسب الدعوة الخاصة لكل إنسان. لكن الجميعَ مدعوّون إلى بذلِ حياتِهم في الحياة اليومية الروتينية.

قد نشعر بالخوف من حياة بعض القديسين بسبب المحن التي مرّوا بها. لكن المجمع المسكوني الفاتيكاني جدّد دعوة جميع المعمَّدين إلى القداسة. يقول المجمع: "الجميع في الكنيسة مدعوّون إلى القداسة، كما جاء على لسان الرسول: "فإن مشيئة الله إنما هي تقديس أنفسكم" (تسالونيكي 4، 3) (نور الأمم 39). هنالك جملة من الأسقف القديس أوسكار روميرو الشهيد من السلفادور، استشهد بها البابا ويمكن أن تُنيرنا. يتكلّم عن الأمهات اللواتي هن أعضاء مهمّين في كنيستنا، مع العلم أن ما يقوله عن الأمهات المسيحيات ينطبق أيضًا على الأمهات المسلمات أو أمهات أي دين آخر... الأمومة طريق قداسة، كما الأبوّة.

يقول الأسقف القديس اوسكار روميرو أن الأمهات يعشن الشهادة من خلال الأمومة. قال في جنازة كاهن قُتل، مستشهدًا بالمجمع الفاتيكاني الثاني: *"يجب أن نكون مستعدين جميعًا للموت في سبيل إيماننا، حتى لو لم يمحننا الرب هذا الشرف... بذل الذات لا يقتصر فقط على الشهادة أو القتل. بذل الذات والتحلي بروح الشهادة يعني العطاء في تتميم الواجب بأمانة، في الصمت، في الصلاة. في صمت الحياة اليومية. بذل الذات ببطء؟ نعم، كما تبذلها الأم التي تقبل الحياة في رحمها دون خوف وببساطة شهادة الأمومة، ثم تلده وتغذّيه بحليبها وتربيه وتهتمّ به بحنان. هذا هو بذل الذات، هذه هي الشهادة"*.

طريق القداسة هي نقاط المحبة البسيطة في الحياة اليومية. وهو ما يهيئ النفس للحظات يُصبح فيها العطاء أكثر صعوبة، وقد يصل إلى معاناة تشبه معاناة الصليب.

الوثيقة الوحيدة المعروفة للأخت أنجيل ماري هي جوابها على أسئلة مجلس رهبنتها العام سنة 1994. ها هي:

1. "منذ متى أنتِ في الجزائر، ولماذا؟ *منذ شهر أيلول 1959 للاهتمام بالأيتام في بوزاريعة. أما الآن فأنا أعيش مع الفقراء في بلكور.*
2. أكتبي بماذا تشعرين أمام جميع هذه الأحداث التي تحصل في البلاد وتؤثّر في حياة كنيسة الجزائر. *"أتألم لذلك وأشعرُ بالعجز، وأصلي إلى سيدة الرسل.*
3. ما هي أصعب الأمور بالنسبة لك في هذا الوقت. (لا جواب).

4. من أين تجدين الدّعمَ والعزاء كي تعيشي هذه الظروف؟ *في القداس اليومي والصلاة والمسبحة الوردية وصداقة الناس.*

5. فكّري بحرية في هاتين الإمكانيتين: البقاء أو المغادرة، مع ذكر الأسباب التي تأتي إلى ذهنك، دون أن تمنعيها أو ترفضيها. *أختار البقاء في الجزائر* (الجوانب الإيجابية – والدوافع الشخصية) *كي أشهد للمسيح ولا أشعر بالخوف لأني معه ومع مريم العذراء.*

أعتقد أن هذه الشهادة تختصر جوهرَ ما عاشه شهداؤنا: الاهتمام بالآخرين، وبالخصوص الأكثر حاجة، ونهل القوّة من الصلاة ومن الصداقة. وهذه نعمة من الله لكنيستِنا: أن يشعرَ كلّ واحد بمفردِه ومعًا، بالعمق الروحي والصوفي لحياتنا التي هي في النهاية حياةٌ بسيطة وعادية. عشنا هذه النعمة في السنة المشتركة بين مختلف الأبرشيات في الجزائر قبل خمس سنوات. جَمَعْنا حينئذ عددًا من شهادات الحياة والتي بدت كصفحة جديدة من سفر أعمال الرسل، كُتبت في الجزائر. ما زال الإنجيلُ يُدوّن في حياتنا اليومية. حياتُنا فقط تجعل الإنجيل ذات مصداقية. فلنستمر معًا في كتابة صفحات جديدة. كانت حياة شهدائنا صفحة من هذه الصفحات الجميلة. كتب الأسقف بيير كلافيري عن الأخ هنري والأخت بول هيلين: *"عاشوا وماتوا كمعلّمهم. عاشوا حتى النهاية بذل حياتهم محبةً بالله وبالبشرية. طلبوا أن يُدفنوا في هذه الأرض التي زَرَعوا فيها، بصمتٍ وتواضع، بدورَ الأمل لشباب الجزائر. هم فخر كنيستنا ونرى فيهم ما نريد أن نعيشَه مع شعب الجزائر ما دام الأمر مُتاحًا"* . (مقطع من افتتاحية جريدة "لماذا"؟ في الرباط عام 1994).

قداسة من يعيش بقربنا

يمكن أن تشكّل رسالة الأب الأقدس "افرحوا ابتهجوا" دليلاً لنا في هذه السنة الراعوية كي نسير بعزم في درب القداسة. لدينا انطباع أن هذه الرسالة البابوية كُتبت خصيصًا من أجلنا ومن أجل كنيستنا، فهي تسلّط الضوءَ على قداسة شهدائنا.

مكتوب على الأيقونة التذكارية لشهدائنا: *"ما من حب أعظم من حبّ من يبذل نفسه في سبيل أحبائه"* . تدل هذه الجملة على طريق القداسة التي سار عليها شهداؤنا. وهي تذكرنا بدعوتنا إلى القداسة. يقول الأب الأقدس أنه كي يصبح الإنسان قديسًا، ليس من الضروري أن يكون أسقفًا أو كاهنًا أو راهبًا أو راهبة، ولا أن يموت موتًا عنيفًا. يقول الأب الأقدس:" نحن مدعوّون إلى القداسةِ من خلال القيام بأعمالنا اليومية بمحبة"، ويُضيف: "أحبّ أن أرى القداسة في شعب الله الصبور: في الوالدين الذين يربّون أولادهم بمحبة كبيرة، في الرجال والنساء الذين يعملون لتأمين الخبز لبيتِهم، عند المرضى، عند الراهبات المتقدّمات في السنّ واللواتي يستمررنَ في الابتسامة. أرى قداسة الكنيسة في هذه المسيرة الثابتة والمستمرة، يومًا بعد يوم... هكذا هي غالبًا قداسة الذين يعيشون بالقرب منّا ويشكّلون انعكاسًا لحضور الله، وبتعبير آخر، الطبقة الوسطى من القداسة" (7). القديس هو من يرى قداسةَ أخيه ويتغذّى منها.

قداسة من يعيش بقربنا هي حقا ما كان درب قداسة إخواننا وأخواتنا. يدعو شهداؤنا كنيستَنا أن تكون كنيسة قريبة، كنيسة تفتح أبوابها وتقرعُ بابَ الشخص الآخر. تتغذّى حياتُنا من حياة الأشخاص الذين نشاركُهم حياتَهم، الأشخاص الذين يدخلون بيتَنا وندخل نحن بيتَهم. قد نتفاجأ بذلك، مع أنه حقيقي. فقد استطاع شهداؤنا التسعة عشر أن يرَوا قداسة جيرانهم وجاراتهم، قداسةَ الأشخاص الذين كانوا يشاركونهم في نشاطاتهم وخدماتهم وأوقاتِ راحتِهم. كانت صلواتهم مليئةً بالنظر إلى حياة الآخرين. كانوا يقدمون في احتفالهم بالإفخارستيا جيرانَهم ورفاقَهم وأصدقاءَهم وشعبَنا بأكمله. نعم، كان قُدّاسنا مليئًا بالأشخاص!

ثم يضيف الأب الأقدس: *"القداسة هي اللقاء بين ضعفِك وقوة النعمة"* . ترك إخواننا وأخواتنا المجالَ لنعمة الله كي تعمل فيهم من خلال حياتهم اليومية. ويُضيف الأب الأقدس: "لكلٍّ طريقُه الخاص". هذا يعني أن نتركَ النعمة تعملُ فيناكي يَظهر أفضلُ ما وَضَعَه الله في داخل كل واحد منا.*"المهم هو أن يعرفَ كلّ واحد طريقَه الخاص ويُبرز أفضل ما عنده، أي ما وضعه الله فيه بشكل خاص"*، فقد خلقنا الله على صورته ومثاله. ما هي ملامح وجه المسيح التي يجب أن تنعكس في حياتي؟ أستشهد هنا ب"جوهرة" صغيرة من الأخ ميشيل المتواضع، وهو أحد رهبان تبحرين السبعة الذي كتب إلى ابن عمّه عن معنى تواجد الرهبان في تبحرين: *"ليتنا نكون جميعُنا كزهرة الأقحوان... زهرة متواضعة تختبئ... ولها رائحة مُسالمة. أفكّر بطفل الميلاد... فزهرة الأقحوان تشبه الأمور الصغيرة التي تبدو دون*

أهمية، لكنها تنشر السلام. كزهر الحقول. نعتقد أن لا رائحة لها، لكنها مجتمعةً تنشر عطرًا..." وعندما قمنا بحجّ أبرشي إلى دير تبحرين شعرنا بعطرِ الدير الذي ما زالت دعوته تساعد كل واحد منا لكي يعطي عطرَه الخاص.

موقفان: الاستقبال والسماع

استقبل الجزائريون إخوانَنا وأخواتِنا الشهداء، واستضافوهم في قلوبهم. الاستضافة عنصرٌ في تقليد الكتاب المقدس. والاستقبال يقود إلى الاستضافة. لنذكر استقبال إبراهيم في بلوط ممرا: *"رفع إبراهيم طرفه ونظر فإذا ثلاثة رجال يقفون أمامه. فلما رآهم بادر للقائهم من باب الخباء وسجد إلى الأرض"* (تكوين 18، 2-5). ركّز جميع الأنبياء على أهمية الاستضافة: "اكسر للجائع خبزك وأدخل البائسين المطرودين بيتك وإذا رأيتَ العريان أكسُهُ ولا تتوارى عن لحمِك" (أشعيا 58، 7).

لنتأمل يسوع الذي يستقبل ويكشف باستقباله عن استقبال الله الآب. يستقبل يسوع الصغار: "دعوا الأطفال يأتون إليّ" (مرقس 10، 14) والخطأة " هذا الرجل يستقبل الخطأة ويأكل معهم" (لوقا 15،2) والأشخاص الذين يعانون من صعوبات: "تعالوا إليّ أيها المتعبون والمثقلون وأنا أريحكم" (متى 11، 28). ويقول في تعليمه أن مَن يستقبل الآخر إنما يستقبله هو: "لأني جُعتُ فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريبًا فأويتموني (...) الحق أقول لكم كلّما فعلتم ذلك لأحد إخوتي هؤلاء الصغار فلي قد فعلتموه" (متى 25، 35 وتابع).

يدعو مار بولس إلى الاستضافة كما فعل المسيح: "فليتّخذ بعضكم بعضًا كما اتخذكم المسيح" (روما 15، 7)، و"لا تنسوا ضيافةَ الآخرين أن بها أناسًا أضافوا ملائكة وهم لا يدرون" (عبرانيين 13، 2).

كتبت الأخت كاريداد: "أفرح كثيرًا عندما يزورنا الناس. أحضّر كل شيء بكل قلبي وكل نفسي. الرسالة في نظري هي الاستعداد والفرح والاستقبال..." (مقابلة للنشرة الإقليمية للراهبات الأغوسطينيات عام 1989).

لكن الاستضافةَ يجب أن تكونَ متبادلة. كلمة "ضيف" في اللغة الفرنسية تعني الشخص المستقبِل كما تعني الضيف. هذا يعني أن من يستقبِل هو في نفس الوقت موضعُ استقبالٍ من طَرَفِ الضيف. الاستضافة عمل ثقة، لأني عندما استقبل لا أعلم مسبقًا الشخص الذي استقبل، كما أن الاستقبالَ لا يقتصرُ فقط على الانتماء القبلي أو الاجتماعي أو الوطني. وإن كان الأمر، كما يقول كريستيان شيسيل: "*إن التعاطف مع الآخر يمكن أن يكون من ضمن أول الكلمات في لغة إسلامية-مسيحية، لأنه تعبير عن خبرة مشتركة بين الله والانسان تسمو عن الكلمات والأنماط الفكرية. لذا فالتعاطف مع الآخر هو أساسًا خبرةُ نعمة، ثمرة عمل الروح القدس الذي يعمل في قلب كل إنسان، وبالتالي في قلب الإنسان المؤمن. أليس التعاطف مع الآخر أول كلمة وأوّل علامة تدل على الالتزام مع الآخر ومن أجله، مهما كان دينه؟*" (تأمل في يوم الرسالة في الجزائر العاصمة في 21 تشرين الأول عام 1994).

ما هو أساسي في رسالتنا هو أن يستقبلَنا الآخر عندما نستقبلُه نحن في قلبنا وفي حياتنا. فالاستقبال لا يقتصر على تقليد خاص. نحن في الجزائر حسّاسون لحرارة الاستقبال. ومع ذلك، أعتقد أن الإنجيل يدعونا، في اتباعنا للمسيح وبتشجيع من شهدائنا، أن نعيش هذا الاستقبال حتى تفريغ الذات. أن تستقبل الآخر يعني أن تكون حاضرًا لوجوده بشكل كامل. أي أن أقبلَ أن يشعرَ أن بيتي هو بيته. هكذا يستقبلنا

يسوع. لا بل، عندما استقبل الآخر، وبالذات الآخر الصغير والهش والبعيد والمتروك، فإني استقبل يسوعَ نفسه، وهو يستقبلني في نفس الوقت.

ضرورة المرور بالصليب

لا يخفي البابا أن القداسة تضعنا في منطق العطاء والصليب، في مفارقة لفهم السعادة، لا تنفي الصعوبات وتتضمن تنازلاتٍ وتدعو إلى تحمّل الإذلال... فنحن لا نختار صليبَنا. التواضع هو أن نقبل الصليب الذي يأتينا كي نستمر في المحبة، وهذا ما فعله إخواننا وأخواتنا الشهداء حتى النهاية. أن تفتح بابَك، وتقرع باب الجار، هذا هو طريق القداسة بأفراحه وصلبانه. هكذا كتبت الأخت أستير: "*مثالي الكامل هو يسوع. فقد تألّم وواجه صعوبات، وانتهى بفشل الصليب الذي منه نبعتْ الحياة*" (من جهد التمييز الجماعي 6-7، في شهر تشرين الأول عام 1994).

ليس استقبال المسيح دون شروط فقط، بل إنه يصل إلى استقبال العدو، أي استقبال الشخص الذي يرفضني. ليس الأمر عاطفيًّا. الاستقبال هنا يعني أن نجعل للآخر مكانًا في قلبنا، حتى لو رفضني هو في قلبِه. الاستقبال هو عمل الخلاص، والمشاركة في

خلاص المسيح، هو أن نكشف للآخر أن الله يحبّه حتى لو كان هو لا يحبني. لننظر إلى يسوع في العشاء الأخير. يستقبل المسيح في غسل الأرجل يهوذا الذي كان على وشك أن يخونَه وبطرس الذي سينكرُه. يستقبلنا المسيح كي يصبح هو ضيفَنا. "إن لم أغسل رجليك فلا نصيب لك معي".

مما قاله البابا فرنسيس مؤخرًا، في عيد ارتفاع الصليب، أن صليبَ يسوع يعلّمنا أن هنالك في الحياة لحظات فشل ولحظات انتصار، وأنه لا ينبغي أن نخاف من *"الأوقات السيئة"* التي يمكن أن يشعّ عليها نور الصليب الذي هو علامة انتصار الله على الشر. فالصليب الذي هو علامةٌ خارجية عن الفشل يصبح علامةَ انتصار.

يقول البابا أن التأمل في الصليب الذي هو علامة الإنسان المسيحي، يعني بالنسبة لنا التأمل في علامة الفشل، وفي علامة الانتصار أيضًا. يقول البابا: "يجب أن لا نخف من التأمّل في الصليب كعلامة فشل. يستعمل مار بولس في كلامه عن الصليب كلماتٍ قوية، ويقول إن المسيح أفرغ ذاتَه وأصبح هو خطيئةً وحمل خطايانا وجميع خطايا العالم. أصبح المسيح "ممسَحَة"، مجرمًا. لم يخشَ بولس من إعلان هذا الفشل، وهذا ما يمكن أن يلقي النور على لحظاتنا المؤلمة، لحظات فشلنا، لأن الصليب هو أيضًا علامة انتصار للمسيحيين".

يتّجه فكري إليكم أنتم، إخواني وأخواتي أبناءَ هذا البلد، أنتم الذين تركَكَم أقرباءكم الأحباء. فأصعب أنواع العنف هو الذي يأتي من أقرب الأقرباء. يرتفع الصليب عادة في اللحظة التي نشعر فيها الخذلان بينما يكون حبنا كبيرًا. استقبال يسوع في حياتنا قد يقودنا إلى ذلك. ولن يمنعنا أحد من إعلان الإنجيل تحت شكل غسل الأرجل. هذا هو درب الصليب الذي غالبًا ما نعيشه بصمت.

يتّجه فكري إليكم أنتم أيضًا، طلاب بلاد ما تحت الصحراء، والمهاجرين والإخوة والأخوات الذين يقبعون في السجون. قد تواجهون مواقفَ عنصرية. لا تتردّدوا في طلب شفاعة شهدائها التسعة عشر، شهداء المحبة. سيساعدونكم كي لا تجيبوا على العدوانية بمثلها، كي لا تسمحوا أن تدخل المرارة قلوبَكم. لا يمكننا أن ننام والمرارة في قلوبنا. أيها الإخوة والأخوات الذين تعانون أكثر من غيركم، اعلموا أنكم في قلب شهادة كنيستنا، شهادة العمل الجادّ في سبيل الصلاح. وهذا النوع من الشهادة صامت، يبدأ في الصلاة ويستمر فيها. لنكرّر هذه الصلاة: "اجعل يا رب من حياتنا وجهًا من صلاحك" (بحسب صلاة موريس زونديل). يدعونا المسيح إلى أن نعيش فيه وبه حياة المحبة التي تخلّص العالم وتنجينا من الشر. هذا ما قاله مار بولس بقوّة: "هدم (المسيح) الغضب في جسده" (أفسس 2، 4).

ولنتعلّم أيضًا أن نشكر الله على انتصاراتنا الصغيرة والكبيرة. فالاعتراف الرسمي بإخواننا وأخواتنا الجزائريين تتّجه نحو نهاية سعيدة. يشعر البعض أنه أصبح بإمكانهم أن يعيشوا في حرية أكبر. ويستطيع بعض الطلاب والطالبات الإفريقيين أن يقيموا علاقة صداقة،ويهدموا بذلك بعض الحواجز التي كانت تفصلهم عن الآخرين. أتأثّر أحيانًا بشهادة بعض مؤمنينا القابعين في السجون الواقعة في محيط العاصمة. فهم يستطيعون، بطيبتهم، أن يحصلوا على صداقة رفاقهم وحُرّاسهم.

فرح التطويبات

تعيش كنيستنا لحظات هشاشة كبيرة. لكن تطويب إخواننا وأخواتنا يذكّرنا أننا نعيش زمنَ نعمة. خُطفوا منّا بينما كنا نودّ أن نراهم اليوم معنا. ومع ذلك فَهُم بينَنا. وسنشهد خصوبة تضحيتهم عندما نحتفل بتطويبهم. كما سيقوم إخواننا وأخواتنا المسلمون بتكريم 114 إمامًا رفضوا تبريرَ العنف، عالمين بذلك أنهم يخاطرون بحياتهم. وفي

نفس المناسبة سنفكّر بالكثير من الصحفيين والفنّانين والكُتّاب والمفكّرين والآباء والأمهات البسطاء الذين ثبتوا في إيمانهم وفي صلاح ضميرهم. وفي هذا الإيمان، كثيرًا ما ذكروا الله الرحمن الرحيم. أما بالنسبة لنا، فالمسيح هو الذي كشف لنا عن وجه الآب الرحيم.

"طوبى للرحماء فإنهم سيُرحمون" (متى 5، 7). كانت حياة شهدائنا تتضمّن المغفرة لمن كانوا يصنعون الشر. هذه المغفرة التي تكلّم عنها الأب كريستيان، رئيس دير تبحرين في وصيته، ما زالت تثمر ثمار الشفاء والسلام للجميع. وغالبًا ما نسمع شهادات تُشير إلى ذلك. كتب الأخ هنري فرجيس: *"تُثير كلمة الله قلبنا وانتباهنا. فنحن نعيش في الرجاء. وتهيّؤنا حركاتنا البسيطة جدا للقاء ما فُقد. وإثارة الكلمة هذه تدفعنا إلى أن نعيش التطويبات وحقيقة الملكوت بشكل أعمق"*.

نحن مدعوّون إلى تجديد موافقتَنا على العيش بالثقة يومًا بعد يوم. "لا تخف أيها القطيع الصغير، فقد حسُن لدى أبيكم أن يعطيكم الملكوت" (لوقا 12، 32). فرح كنيستنا هو فرح التطويبات". يعطينا الأب الأقدس في رسالته التطويبات دليلاً للقداسة. "الفقر بالروح، هذه هي القداسة". "التصرف بوداعة وتواضع: هذه هي القداسة". "البكاء مع الآخرين، هذه هي القداسة". ومع ذلك، ينبّهنا البابا: "لا يمكننا أن نعيش ذلك ما لم يغمرنا الروح القدس بقوّته، ويحرّرنا من ضعف الأنانية والرفاهية والكبرياء". يا له من طريق فرح! هذا الفرح الذي نراه في إخواننا وأخواتنا القريبين منا هو علامة الملكوت.

الحوار الروحي

زمننا الحاضر هو زمن الشهادة. قد يشعر البعض بالمحدودية في التعبير عن إيمانهم. لكن لا حدود لشهادة الحياة. لنذكر حياة يسوع الخفيّة في الناصرة مدّة ثلاثين سنة، حياة ابن النجار البسيطة. حياتنا هي الشهادة الوحيدة ذات المصداقية للإنجيل. ويجب على وجوهنا أن تُشعّ الوجودَ الإلهي الذي يسكننا في الداخل.

يترك لنا شهداؤنا أيضًا شهادة الحوار الروحي. لم يكُن التسعة عشر أعضاءً في رباط السلام، وهي مجموعة لقاء ومشاركة وصلاة بين مسيحيين ومسلمين. لكنهم كانوا يتمتّعون بروح هذا الحوار في قلبهم وفي صلاتهم. إنه درب إنساني يُعاش في كل عمقِه الروحي. وما لقاء أسيزي إلاّ نقطةٌ مهمّة في هذا الطريق.

كتبت الأخت أوديت في عام 1981: *"أعتقد أيضًا أن بحثَنا التأملي في وجه الله في ذاته طريق مميّز للقاء مع الإسلام في حوار ديني، كثيرًا ما يحدثُ في الصمت والاحترام والانتباه للآخر. نحن الذين وضعهم الله وسط شعب مختلف، علينا أن نقبل في داخلنا، وفي حياتنا اليومية البسيطة، ما تبحث عنه الكنيسة، وأن نجسّده في إعمال عادية مخفية ومجانية، تحمل في ثناياها المحبة والتواصل. جهدٌ صامت نحو الله في مشاعر الانتظار... وفي الرجاء، مع قلب منفتح دومًا على الآخر، ومنتبه لطريقه الخاص... من*

خلال زمن قد يطول، ومن خلال بطء الصداقة وكنوزها" (رسالة بتاريخ 1 تشرين الأول عام 1981).

قد يُساء فهمُ ما ندعوه اليوم في الكنيسة الحوارَ بين الأديان. فالموضوع ليس اقتناص الأشخاص ولا اعتبار جميع الديانات طريقًا للخلاص. الوسيط واحدٌ وهو يسوع المسيح. وما حدث على الجلجلة وموت يسوع وقيامته هو مركز تاريخ خلاص العالم. لكن الروحَ القدس يعمل في قلب جميع البشر. "الروح يهبّ حيث يشاء، وتسمع صوته إلّا أنك لست تعلم من أين يأتي ولا إلى أين يذهب. هكذا كل مولود من الروح" (يوحنا 3، 8). المهمّ هو ما يحدث في قلب كل إنسان، في طريقته الخاصة في التوجّه إلى الله. قلب كل إنسان سرٌّ أركع أمامه. يمكن للجميع أن يقرأ نصَّ المجمع الفاتيكاني بخصوص الحوار مع المسلمين (وليس الحوار مع الإسلام). "تنظر الكنيسة باحترام الى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد، الحي والقيّوم والرحيم والقادر على كل شيء، خالق السماء والأرض" (في زمننا رقم 3).

لا شك أن تقديمَ الإيمان بالإله الواحد يختلف في كلّ ديانة. فالإسلام يرفض الله الذي هو أب والذي يسمح المسيح لنا بأن نعرفه (وأن نلد فيه ثانيةً)، الإله الذي هو محبة والذي تجسّد وأصبح قريبًا منّا في عمق اعماقنا. لكن المسيحي لا يملك سرَّ ما يعمله الله في القلوب. "وأنا إذا ارتفعت عن الأرض جذبت إليّ الجميع" (يوحنا 12، 32).

يستطيع كلّ واحد، لا بل يجب عليه، أن يعرف الإسلام كما يعلّمه المسلمون. كما يمكن للبعض أن يهتمّ بالأبحاث الحالية حول كيفية نشوء الجماعة المسلمة وتاريخ

الإسلام وتاريخ نبيّ الإسلام وتاريخ تفسير القرآن وتاريخ الأحاديث. يكتب باحثون مسلمون وغير مسلمين عن هذا الموضوع. لكن هذه الأبحاث قد تُوقِعنا في مطبّ الابتعاد عمّا دعاه جان محمد عبد الجليل (مغربي ارتدّ إلى الإيمان بالمسيح) "الجوانب الداخلية للإسلام".

مسرحية بيير ومحمد التي تتكلّم عن الصداقة والحوار بين بيير، أخينا الأسقف، وصديقه محمد توضح بشكل جميل هذا الحوار الروحي. يظهر محمّد على إيقونة التطويب. أعتقد أنه يمكننا أن نضمّه إلى صلاة تسبيحنا.

حذّر الأسقف بيير كلافيري في الحوار بين الأديان، من المقاربات التي هي مقاربات سطحية. فعندما نتكلم عن ابراهيم أبي الأنبياء، فهو ليس نفسه في ديانتينا. ثم ماذا عن "عيسى" أي يسوع؟ المراجع الكتابية التي يستشهد بها القرآن لا تأتي في نفس الترتيب، مما يغيّر معناها أحيانًا. كما أن وحدانية الله التي يركّز القرآن عليها كثيرًا لا تتضمن خبرة الله الذي هو ثالوث.

ومع ذلك، فالإسلام يدخل في التقليد الكتابي الذي يُحييه الإيمانُ بالله. وأكبر شهود على ذلك هم المتصوّفون المسلمون. وإخواننا الذين نلتقيهم في رباط السلام ينتمون إلى هذا التيار.

يجب أن نضيف أخيرًا، اننا كمسيحيين، لا نحتكر المحبة. كثيرًا ما أتلقّى دروسًا في المحبة من قبل بعض المعاونين والذين يعملون في بيوتنا. ويسرّني أن أذكر العاملين في الكاريتاس وفي المكتبات وباقي الخدمات. يقول يوحنا الرسول: "من أحب فهو من الله ويعرف الله" (1 يوحنا 4، 7). نحن شهودٌ هنا على الحياة التي بُذلت كي تساعد الآخرين في طريق الحياة والسعادة. يَدين الأخ كريستيان دي شارجيه بدعوته، لا بل بحياته، لشخص جزائري مسلم خاطر بحياته وفقدها من أجله. نتأمّل في عملَ الله في القلوب من

خلال بيوت جيراننا. كان شهداؤنا يحبّون الكلام عما كان يساعدهم على الحياة في حياة الأشخاص المتواجدين حولهم والذين كانوا يحبونهم.

يمكننا من خلال انصياعنا لنفس الروح أن نتأملَ في عمل الله في قلوب إخواننا المسلمين، وأن نقبلَ الأشخاص الذين يدعوهم نفس الروح إلى الانضمام إلى كنيستنا كي يحملوا اسم يسوع. فالحوار في الحقيقة يدعونا إلى "الاحتجاج لكل من يسألكم حُجج الرجاء الذي فيكم" (1 بطرس 3، 15). ليست شهادتنا ضد دين الآخر، هي شهادةُ ما تطلبُه محبة المسيح التي أفيضت في قلوبنا أن نعيشَه، محبّة تشمل الجميع دون استثناء، حتى الأعداء.

مع مريم والروح

كان بإمكان شهدائنا التسعة عشر أن يتبنّوا كلمة الأخ هنري: *"أعيش ذلك يومًا بعد يوم، في التواضع اليومي، كمريم العذراء"* (نص حول خبرته الروحية في أرض الإسلام، عيد الميلاد عام 1989).

وكي نعيش في الطاعة الثابتة والصبورة للروح القدس، نجد مريم العذراء إلى جانبنا. كانت لمريم العذراء مكانةٌ كبيرة في حياة شهدائنا. ومريم العذراء ثمينةٌ في استقبال الأبناء لأنها لا تميّز بينهم. يمكن لمريم العذراء أن تساعدَنا في الاقتراب من الإسلام الداخلي. فهي بالفعل أيقونة جميلة للنفس المسلمة التي تبذل ذاتها بثقة (راجع " مريم في نظر الإسلام"). يسرّني أن أتأمل في الإيمان المسلم الأمهات اللواتي يأتين لطلب شفاعة مريم العذراء فيبازيليك سيدة أفريقيا، كما يقمنَ بذلك في لورد وفي سيدة الحراسة في مرسيليا.

مريم العذراء أمّ. وهي تعطي النعمة لجميع الذين يصعدون لزيارتها في سيدة أفريقيا. وهي بالنسبة لنا أم كنيستنا الجزائرية وأم أبرشية الجزائر العاصمة. أعتقد أنه لا يمكننا أن نترك مريم العذراء جانبًا إن أردنا السير بجدّ في طريق القداسة. إن كنا نريد حقًّا أن نصبح قديسين، لنسلّم دفّةَ حياتنا لمريم العذراء. لنأخذ شعار البابا القديس يوحنا بولس الثاني: "كلّي لكِ يا مريم". فهي تسير قبلَنا وتُرشدُنا وترافقنا في طريق الاستسلام الواثق لمشيئة ابنها، وذلك ليس فقط في اللحظات المهمة في الحياة، بل دومًا. تُعلّمنا مريم العذراء أن ندعَ ابنَها يعمل فينا.

كان أخونا هنري فيرجيس يتعلّم، على يد مريم العذراء، ما كان مؤسس الإخوة المريميّين يتمنّاه لجميع إخوته: التواضع والبساطة. سُئِل الأخ هنري يومًا: "لماذا تبقى في سور الغزلان؟: فأجاب: "لأن دعوتي المريمية تتناسب جدا مع هذه الحضور المختفي والخدمة المتواضعة، ووضعِ الأساس لما سيكون عليه هذا البلد الشاب في المستقبل مع مريم

الموجودة هي أيضًا في قلب الإسلام". ويضيف في نصٍّ آخر: "تبدو مريم العذراء، مع يوحنا المعمدان، قريبةً من شكل حضورنا ككنيسة في شمال أفريقيا، وكأننا نعيش معها زمن انتظار الله".

أن نكون مع مريم العذراء يعني أن نكون مع الروح القدس بسبب العلاقة الحميمة التي تربط مريم العذراء بالروح القدس، لأنها "ممتلئة نعمة". ينبغي أن تكّرر كنيستُنا بشكل مستمر كلمة "هاأنذا" التي قالتها مريم العذراء: "ليكن لي بحسب قولك". الكنيسة خادمة، وتأتي خصوبتها السريّة من الروح القدس.

خاتمـــــــــــــة

هل نريد أن نصبح قديسين على غرار شهدائنا؟ هم إيقونة لكنيستنا، وتشكّل حياتهم بالنسبة لنا دعوة إلى تجديد قبولنا لدعوتنا الكنسية في الجزائر. دعوة الكنيسة هي أن تبذل ذاتها دومًا في سبيل الشعب الذي زُرعت فيه، وذلك منذ شهداء القرون الأولى. هنالك تعبيرٌ جميل للأخ كريستيان دي شيرجيه يقول: *"هكذا أحّب الله هذا الشعب حتى أنه أعطاه ابنه، هكذا أحب الله هذا الشعب حتى أنه أعطاه كنيسته"*. تبذل الكنيسة حياتها في، ومن خلال بذلنا نحن لحياتنا. يجب أن يعلمَ شعبُنا أننا نحبّ الآب وأن الآب يحبّه من خلال محبته لجميع سكانه.

يبدو لي أن شهداءنا يسلّطون الضوء، في حياتهم وموتهم، على معنى احتفالنا بالإفخارستيا وخصوبتها السرّية. فكلمات الإفخارستيا تدلّ على دعوة الكنيسة. وفي الإفخارستيا تقبل كنيسة الجزائر دعوتَها التي وضّح شهداؤنا معناها. كانت الأخت اوديت تقول: *"ترك لنا يسوع دلياً على إرادته في أن يبذل حياته. "هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم. هذا هو دمي الذي يراق من أجل الكثيرين". وهذا الدليل تذكير للكنيسة ولكل واحد منا: "اصنعوا هذا لذكري"*. (نص من الأخت أوديت في 16 تشرين الثاني عام 1994).

في كل احتفال بالإفخارستيا، هنالك شعبٌ حاضرٌ بأكمله بشكل سرّي. فقد كان العالم كلُّه حاضرًا عندما قدّم يسوع ذاته للآب على الصليب. القداس واحد ويتكرّر باستمرار، وما احتفالُنا بالإفخارستيا إلا سرّ هذا القداس الوحيد. لستُ حاضرًا في القداس إن لم يكن قلبي منفتحًا، على الأقل في الفكر، على جميع إخواني، لهذا السبب نرغب في أن نذكر إخواننا وأخواتنا في صلاة المؤمنين. فجيرانُنا والقريبون منا وزملاؤنا معنا في القداس. حاضرون في كل رمزٍ يُعبّر عن بذل الذات والذي نشكر الله عليه.وعندما نقدّم

هذه الرموز، ونقدّم إخواننا وأخواتنا معها، إنما نقدّم محبة المسيح. وعندما نتشفّع، نتّحد بصلاة المسيح: "أيها الآب، أريد أن يكونوا معي حيثما أكون" (يوحنا 17، 24).

كتبت الأخت أوديت أيضًا: *"إن حَدَثَ أن أصبحَ طريقُ أمانتِنا على خُطى يسوع، وباتصال مع إخواننا الجزائريين الذين يرغبون في وجودنا فيما بينهم ومعهم كبذور لحياة متجدّدة وسلام أخوي، أن يتقاطع (هذا الطريق) لواحدة منا نحن الثلاثة، مع العنف، فلن نصبح شهيدات، بل، على مثال الكثيرين من الجزائريين الذين قُتلوا، جنودًا في تاريخ البشر، ضحايا كالكثيرين غيرنا، لقوى ظلامية تتصارع، والتي لا تعتبر الحياةَ البشرية ذات قيمة. لا شيء نهائي بعد، وقد تتدخّلَ عناصرُ جديدة وتُلزمنا بترك هذا الحي أو حتى هذه البلاد. لكن ما يسُكّن اليوم في داخلنا ويعطي معنى لحياتنا، هو السلام والفرح كي نبقى هنا"، "به ومعه وفيه""*. (نص من الأخت أوديت وأختين صغيرتين في كوبا في 17 تشرين الثاني عام 1994).

اتباع مَثَل شهدائنا لا يعني حتمًا أن نفعل كما فعلوا، بل أن نحب كما أحبّوا في إيجاد الحرية التي يعطيها الروح القدس. فنحن نعيش في فترة أخرى من حياة البلد والعالم والكنيسة. لكن الروح نفسه يدفعنا، لأن عطش بني البشر كبير كعطش المسيح.

يا شهداء الجزائر، أُطلبوا لكنيستنا، من خلال كل مؤمن فيها، أن تكون، يومًا بعد يوم، شاهدًا أصيلاً لمحبة المسيح.

+ الأب بول

هبة الحياة

نص مكتوب بخط يد الأخ الطوباوي لوك ، 8 مارس 1994

"من يريد أن يخلص حياته يفقدها، وأما الذي يفقد حياته في سبيلي فإنه يخلصها" إنجيل مرقس (35,8)

الغرض من هذه الجملة " يخلص حياته :»الله يريد لنا "الحياة". تخليص حياتنا، هو إدخالها في مكانها الصحيح؛ مشكلتنا هي أن نكون موجودا بحق، وهذا يعني أن نكون مربوطين (...). معضلة الحياة المسيحية: الخوف أو الإيمان. إنه الإيمان هو الذي يخلص وليس الخوف. الإيمان هو الوثوق بشخص ما أو شيء ما خارج عنا. "المخاطرة بحياتنا " ليس لها قيمة. »بسببي": أن نفقد الحياة من اجل المسيح يعني" التضحية بها عن الحب". الخلاص يأتينا من الآخرين الذين هم لنا بمثبت وجود الله الذي يدعونا إلى الحياة. إذا كان الإيمان يخلص، فذلك لأنه يحول نظرنا إلى آخر، وبالتالي يخلق علاقة تمزقنا عن عزلتنا القاتلة. كلما نترك اهتمامنا لأنفسنا، لرعاية شخص آخر، نعيش هذا الإيمان، الذي هو، ربما عن غير قصد، الإيمان بالله "أن نفقد حياتنا من أجل المسيح".

من خلال تلقينا الحياة من الآخرين، نجد حقيقتنا الأصلية: لم نمنح حياتنا بأنفسنا – إن الرغبة في إنقاذها تضعنا في خلاف مع خلقنا. إذا كنا نريد أن نكون سعداء، فإننا نذهب مباشرة إلى خيبة الأمل، إلى الويل. "إذا كنت تريد أن تكون سعيدًا، فاجعل أحدًا سعيدًا. " ولا بديل من جانبنا إلا بالهبة. ومقابل هذه الهبة لا يتعلق بنا. هنا مكان الإيمان الحاسم: القفزة في الفراغ. إنها ليست مسألة الاعتقاد بأن الآخر سوف يعيدنا، أو أنه سيكون لدينا مكافأة، فهذا سيكون الإرادة لإنقاذ حياتنا بأنفسنا. إذا كان الآخر لا يجيب، فهذا ليس مهم، فإننا نجد الحياة في الهبة نفسها.

"فقدان حياتنا": المسيح لا يعيش لنفسه فقط، من اجل ذلك نجد خلاصنا في العيش من اجله. وهذا يعني من اجل خواته الذين هم اخوتنا ايضن.